امكانها الاستفادة بالتظاهر بالدفاع عن اليهود للتسرب داخل الدولة العثمانية. وقد قامت بريطانيا، في تموز (يوليو) ١٨٣٨، بافتتاح أول قنصلية لها في القدس. وأعلنت بريطانيا انها انشأت قنصليتها بهدف رعاية مصالحها في فلسطين، والتي كان من ضمنها «تقديم الحماية لليهود هناك عامة». ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ اذ بدأت فكرة توطين اليهود في فلسطين. ويعتبر اللورد بالمرستون من أشد المتحمسين لهذه الفكرة، منذ توليه وزارة الخارجية البريطانية وحتى بعد تسلمه رئاسة الوزارة فيما بعد، حيث عبّر، مراراً، عن اعتقاده بأن «بعث الأمة اليهودية سيعطي القوة للسياسة البريطانية». وقد اصدر بالمرستون، العام ١٨٣٩، تعليماته الى القنصل البريطاني في القدس، وليام يونغ، بمنح اليهود في فلسطين الحماية البريطانية، لضمان سلامتهم وصون ممتلكاتهم وأموالهم. وبتوجيه من بالمرستون قامت صحيفة «غلوب» اللندنية، الناطقة بلسان الخارجية البريطانية، بنشر سلسلة من المقالات، في العام ١٨٣٩، تدعو فيها الى تكوين دولة يهودية مستقلة من فلسطين. كما قامت جريدة «التايمز» اللندنية، في العاشر من آب (اغسطس) ١٨٤٠، بنشر مقالة بعنوان «اعادة توطين اليهود»، جاء فيها: «ان قيام دولة يهودية سيفصل بين تركيا ومصر، وسيدعم النفوذ البريطاني في الليفانت، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً»[٦]. كما أعلن اللورد بالمرستون، في رسالة بعث بها الى السفير البريطاني في استانبول، في ١١/٨/١٨٤٠، انه «اذا عاد أفراد الشعب اليهودي الى فلسطين تحت حماية ومباركة السلطان، فسيكون، في هذا، حائل بين محمد علي ومن يخلفه وبين تحقيق خطتهم الشريرة في المستقبل»[٧]. وبالطبع، فان «الخطة الشريرة» هي الالتقاء العربي والعمل على تحقيق الوحدة العربية، التي أدرك مقوماتها بونابرت، وكذلك السياسيون البريطانيون. ونجحت بريطانيا، ومعها النمسا وبروسيا وروسيا، في ما عرف بـ «اتفاق لندن» (١٥/٧/١٨٤٠)، بتسوية المسألة الشرقية ضد محمد علي وفي غياب فرنسا، والتي لم تستطع ان تساعد محمد علي كما توقع. وأُصدرت عدة فرمانات من السلطة العثمانية، حتى قبل محمد علي بالفرمان الأخير، في ١٠/٦/١٨٤١، والذي مُنح فيه محمد علي الوراثة، وفقاً لقانون الارشد فالارشد، اي الوراثة لأكبر الذكور سناً في أسرة محمد علي، وجعل حق تعيين ضباط الجيش المصري من حق باشا مصر حتى رتبة الأميرلاي، وحددت الجزية التي يؤديها الوالي الى الباب العالي. وكانت مؤامرة الدول الاستعمارية على مصر، مستغلة ضعف السلطان العثماني، فحققت خططها التي ما زالت مستمرة، وهي ضرب الجيش المصري عندما يقوى، وعزل مصر داخل حدودها. وكانت جريمة محمد علي، في رأي الدول الاستعمارية، انه أنشأ جيشاً قوياً، وتخطى حدود الديار المصرية.

وتكرر الموقف، بالنسبة الى مصر، في أثناء الثورة العرابية، وفي عهد جمال عبدالناصر (عدوان ١٩٥٦ وعدوان ١٩٦٧)، حيث تجرأ الجيش ودافع عن أمن مصر.

وبموقف بريطانيا وحماس بالمرستون، بدأت المشروعات الصهيونية في استيطان فلسطين وبعض الأراضي المصرية، ولن نتابع أطماع الصهيونية في الاقطار العربية الأخرى، فهذا موضوع آخر.

ولم تكن بريطانيا وحدها هي الساعية الى توطين اليهود في فلسطين؛ بل تنافست كل من ايطاليا والمانيا في مثل هذه المشروعات الاستعمارية، ولم تكن فرنسا بعيدة من هذه المشروعات، بل تحمّست لها، وعملت من اجل تحقيقها، وكانت الظروف مساعدة لها في عصر نابليون الثالث وتولّي سعيد باشا حكم مصر، والذي حاول اعادة العلاقة مع فرنسا، مستفيداً من تجربة محمد علي، فكانت بداية العلاقات الاتفاقية بين سعيد وفرديناند ديلسبس، العام ١٨٥٤، على امتياز قناة السويس. ولم يعد اليهود يقفون عند طرح آرائهم والوقوف خلف الدول لاعلان مشروعاتها، بل نجد نشاطهم في